

شبهات الحداثيين حول أصول التفسير

-عرض ونقد-

Modernist suspicions about the origins of interpretation
review and criticismمناع نجوى¹

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

nedjwaamir@gmail.com

د. هشام شوقي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

h.chougui84@gmail.com

تاريخ الوصول 02/06/2020 القبول 15/02/2021 النشر علي الخط 15/09/2021

Received 02/06/2020 Accepted 15/02/2021 Published online 15/09/2021

ملخص:

يتحدث هذا المقال عن مجال من مجالات الدراسات القرآنية وهو "أصول التفسير"، حيث تعرضت فيه للرد على الشبهات التي بثها الحداثيون حول أصول التفسير تقليدا منهم لشأنها، وغرضهم من ذلك إطلاق العنان للعقل البشري لينظر في القرآن ويستنبط منه ما شاء سواء كانت الإشارة إليه قريبة أو بعيدة، وهذه دعوى خطيرة جدا لأنها تبطل مقاصد القرآن وأغراض نزوله، وتجعل معاني آياته خاضعة لأهواء الناس .

ولذلك أردت من خلال بحثي هذا أن أرد على تلك الشبهات التي ألقيت حول هذا الموضوع سواء ما تعلق منها بتفسير القرآن بالقرآن أو السنة أو أقوال الصحابة .

وقد اقتصررت دراستي على ثلاثة من المنتسبين للفكر الحداثي ولهم في أصول التفسير مجموعة من الشبهات وهم: الدكتور مصطفى بوهندي، والدكتور محمد شحرور، والأستاذ جمال البنا .

الكلمات المفتاحية: تفسير القرآن بالقرآن، شبهات الحداثيين، تفسير الصحابة، أصول التفسير .

Abstract:

This article talks about "The Origins of Interpretation", it was exposed to respond at suspicions which delivered by Modernists on this topic underestimating those interpretive origins. Its purpose is to unleash the human mind to look into the Qur'an without controls or restrictions and infer from it what he wants, this is a very dangerous issue because it nullifies purposes of the Qur'an, and make the meanings of his verses follow to the whims of people.

So, i want from my research to respond to those suspicions that have been made on this subject in all its branches which related to the interpretation of the Qur'an by Qu'ran, Sunnah and sayings of companions.

Keywords: Interpretation of the Qur'an in the Qur'an, Suspicions, Interpretation of the Companions, Origins of interpretation

¹ المؤلف المرسل: مناع نجوى البريد الإلكتروني nedjwaamir@gmail.com

1. مقدمة:

تفسير القرآن الكريم مثل غيره من العلوم له قواعد وضوابط يلتزم بها من أراد أن يفسر كتاب الله تعالى، وهذه الضوابط تسمى في مجال الدراسات القرآنية بـ "أصول التفسير"، وقد أخذ العلماء بهذه الأصول منذ اشتغالهم بتفسير القرآن الكريم، غير أن الناظر في المراحل الأولى من تاريخ التفسير يلاحظ عدم وجود مؤلفات مستقلة في هذا المجال، وما ذاك إلا لأن بعض المفسرين كان ينظر لهذه الأصول ثم يطبقها في تفسيره، وبعضهم كان يطبقها مباشرة أثناء تفسيره لأن هذه الأصول مستقرة في ذهنه.

وأما عن أهم الأصول التي يبني عليها التفسير فقد بينها الإمام ابن تيمية -رحمه الله- في قوله: "فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ فالجواب: أن أصح الطرق في ذلك: أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر من مكان فقد بسط في موضع آخر. فإن أعيك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له... وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لاسيما علماؤهم وكبرائهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين"¹.

وقد درج العلماء على الأخذ بهذه الأصول والاعتماد عليها في التفسير مع اختلاف بينهم في تطبيقاتها، حتى ظهر من يشوش على هذه الأصول وحاول التقليل من شأنها أو دعى إلى تركها جملة بحجة عدم مناسبتها للعصر الحاضر، وعلى رأس هؤلاء ما يعرف بـ "المدرسة الحداثية"؛ التي عمّد أصحابها إلى نقد هذه الأصول ومحاولة هدمها ليفتحوا الباب لهم على مصراعيه ويقولوا في القرآن ما شاءوا، حتى إن كثيرا من المسلمين تأثر بهذه الدعوى.

وهذا ما يدل على أهمية الكتابة في هذا الموضوع، الذي أردت من خلاله أن أعرض بعض شبهات الحداثيين و أردّ عليها، ونظرا لاستحالة الرد على جميع من ينتسب لهذا الاتجاه، فإن دراستي اقتضت على ثلاثة من أعلامهم وهم: الدكتور مصطفى بوهندي، والدكتور محمد شحرور، والأستاذ جمال البنا.

فما هي أهم الشبهات التي طرحها هؤلاء الحداثيون حول هذه المادة التفسيرية الهامة؟، وكيف يمكن الرد عليهم لنقض شبههم وردّها؟. و للإجابة على هذه التساؤلات، قسمت هذا المقال إلى ثلاثة مباحث، يختص كل نوع منها بأصل من أصول التفسير، أذكر فيه شبهاته ثم أردّ عليها، فجاءت خطة البحث كما يلي:

المبحث الأول: شبهات تتعلق بتفسير القرآن بالقرآن و نقضها.

المبحث الثاني: شبهات تتعلق بتفسير القرآن بالسنة و نقضها.

المبحث الأول: شبهات تتعلق بتفسير القرآن بأقوال الصحابة و نقضها.

وتحرير هذه المباحث فيما يأتي:

2. شبهات الحداثيين المتعلقة بالأصل الأول وهو "تفسير القرآن بالقرآن":

يقصد بتفسير القرآن بالقرآن بيان المعنى القرآني من خلال القرآن ذاته، سواء كان البيان للفظة أو لمعنى الآية أو كان البيان للموضوع القرآني².

¹ محمد صالح ابن عثيمين شرح مقدّمة في أصول التفسير لابن تيمية، دار البصيرة- مصر، (ص106-107).

² ينظر: سعيد بوغصاب، مقال: تفسير القرآن بالقرآن. مفهومه وضوابطه، نشر ضمن بحوث الملتقى العالمي حول بناء علم أصول التفسير -الواقع والآفاق- المغرب. شهر: أبريل سنة: 2015، (ص: 245).

وتظهر أهمية هذا النوع من البيان في أنه مقدّم على غيره من أنواع التفسير لأنه أصدق تفسير لكلام الله وأصحّه ولأنّه صادر من المتكلم به .

وهذا الأصل الأول أقيمت حوله عدة شبهات أهمها:

1.2 الشبهة الأولى: المتقدمون لم يعتنوا بتفسير القرآن بالقرآن مثلما اعتنوا بجمع الآثار والآراء في التفسير:

وقد ذكر هذه الشبهة الدكتور مصطفى بوهندي في كتابه "التأثير المسيحي في تفسير القرآن" قائلا: "العملية التفسيرية عند جلّ المفسرين وخصوصا القدماء منهم لم تعتمد هذه المنهجية، وإنما كانت تذكر ما قاله الناس في الآيات المفسرة، فجاء التفسير مغلوبا بالآثار والآراء على حساب تفسير القرآن بالقرآن، ... و لقد يعجب الباحث عندما يجد على المستوى النظري تفسير القرآن بالقرآن يحتل المرتبة الأولى، لكنّه على المستوى التطبيقي نجده قليلا ونادرا.

وقال: "بل إنّه على المستوى النظري يلزم إعطاء البحث حقّه في القرآن قبل الانتقال إلى غيره، وهو أمر لم يقع، بل إنّ المفسرين قد استوفوا البحث في كلام الناس عن القرآن حتّى ذكروا أقوال المذاهب كلّها، لكنّهم في أكثر الأحيان لم يذكروا ولا آية واحدة في الموضوع"¹.

الرد على الشبهة:

هذه الشبهة يرّد عليها الواقع العمليّ للمفسرين فقد اعتنى المفسرون من قديم بتفسير القرآن بالقرآن، وألفوا في مباحثه المتنوعة وذكروا له صورا متعددة:

- فمنها: تفسير ما جاء موجزا في موضع بما جاء مبسوطا في موضع آخر: وأكثر ما ينطبق ذلك على قصص القرآن كقصة موسى وفرعون وغيرها .

- ومنها حمل العام على الخاص ومثاله: تخصيص النبي ﷺ للظلم في قوله تعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} (الأنعام: 82) بالشرك، كما في حديث عبد الله بن مسعود² .

- ومنها: حمل المحمل على المبين: كما في تفسير قوله تعالى: {فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ} (البقرة: 37)، قال مجاهد وقتادة وابن زيد: هو قوله {قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ} (الأعراف: 23) .

ومنها: حمل المطلق على المقيد: ومثاله: قوله تعالى {حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ ... الآية} (المائدة: 3) ، فلفظ الدم في هذه الآية مطلق وقيد بالمسفوح في قوله تعالى {قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ} (الأنعام: 145)³ وغيرها من الأوجه.

ولكن لم يثبت أن المفسرين أفردوه بتصنيف مستقل جامع، اللهم إلا ما كان من التفاسير العامة المصنفة حسب ترتيب المصحف، فقد استوعبت نصيبا هاما من مباحثه ووجوهه، ولكنها لم تكن خاصة به، حاملة لاسمه، وإنما كانت عامة جامعة له ولغيره من العلوم والفنون، فصعب الاهتمام إليه بين تلك الأمواج المتلاطمة⁴ .

وقوله: "إنّه يلزم إعطاء البحث حقه في القرآن قبل الانتقال إلى غيره"، جوابه:

أن هذا صحيح لكن دون مبالغة في ربط الآيات ببعضها والكلف لذلك،

¹ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن. دار الطليعة- بيروت-، ط: 1، سنة: 2004م. (ص: 23) .

² رواه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب ظلم دون ظلم، رقم: 32 .

³ أحمد البريدي، مقال: تفسير القرآن بالقرآن، نشر في مركز تفسير للدراسات القرآنية. الرياض ، سنة: 1424هـ- 2003م .

⁴ محمد قحوي وأحمد بزوي الضاوي، مقال: عرض لرسالة تفسير القرآن بالقرآن، نشر ضمن أرشيف منتدى الألوكة، سنة: 2008. almaktaba.org .

ثمَّ إنَّه لا يلزم قبول كل قول، يرى أن آية ما تفسر آية أخرى، نظراً لما قد يعتريه من خطأ في الربط بين الآيات. وذلك لأن تفسير القرآن بالقرآن يدل على جهد ذاتي، والمفسر حين يرد آية إلى آية، أو لفظة في آية إلى لفظة في آية أخرى، فهو يقوم بعملية ذهنية ذاتية واضحة، تتطلب قبل كل شيء، تتبعاً لنصوص القرآن في الذهن، كما تتطلب مهارة وفهماً، فعملية التفسير بالقرآن عملية مقارنة، يقوم الممارس لها من المفسرين بدور المقارن، حتى يفضي به ذلك إلى تحديد المعنى .

وبالنظر إلى طبيعة هذه العملية، فإن المفسر قد يقع في بعض المنزلقات المنهجية، سواء على مستوى تتبع النصوص القرآنية، أو على مستوى فهمها، أو على مستوى المقارنة بينها لتحديد المعنى ¹.

ولذلك فإننا نقول إنَّ ضرورة العناية بتفسير القرآن بالقرآن وتقديمه أمر بديهي وحتمي، وقد قام به المفسرون من قديم، ومع ذلك ينبغي الاهتمام ببقية أنواع التفسير الأخرى وعدم إهمالها.

2.2: الشبهة الثانية: أن تفسير القرآن بالقرآن سيؤدي ويعين على التخلص من السنّة النبوية بحجة أنّها من رواسب التاريخ

يقول الدكتور مصطفى بوهندي: "وليس من خيار أمام المسلمين للخروج من وهنهم المكشوف واستعادة دورهم المنشود إلا بالرجوع إلى كتاب الله والتّهل منه، لحلّ المشاكل الواقعة وتجاوز العوائق التاريخية والاجتماعية والثقافية المانعة من التحرر والتقدم .

وظيَّ أنّ تفسير القرآن بالقرآن ومحاولة التخلّص من رواسب التاريخ والثقافة التي رانت على العقل المسلم كفيلاً بإعادة القاطرة إلى سكّتها لإكمال المهمّة التاريخية التي على الأمة القيام بها" ².

وخلفيّة هذا الكلام أنّ الدكتور بوهندي من العقلانيين الذين يعتبرون السنّة النبوية من رواسب التاريخ، وكلامه هذا قدح في السنّة وتأييد للقرآنيين الذين ينكرون حجّة السنّة وكونها أصلاً من أصول التشريع.

الردّ على الشبهة:

إنّ السنّة النبوية هي البيان النبوي للبلاغ القرآني، وهي التطبيق العملي للآيات القرآنية، التي أشارت إلى فرائض وعبادات وتكاليف وشعائر ومناسك ومعاملات الإسلام، وهذا التطبيق العملي، الذي حوّل القرآن إلى حياة معيشة، ودولة وأمة ومجتمع ونظام وحضارة، أي الذي "أقام الدين"، قد بدأ بتطبيقات الرسول عليه الصلاة والسلام للبلاغ القرآني، ليس تطوعاً ولا تزيداً من الرسول، وإنما كان قياماً بفريضة إلهية نصّ عليها القرآن الكريم {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} (النحل:44)، فالتطبيقات النبوية للقرآن -التي هي السنّة العملية والبيان القولي الشارح والمفسر والمفصّل- هي ضرورة قرآنية، وليست تزيداً على القرآن الكريم، هي مقتضيات قرآنية، اقتضاها القرآن، ويستحيل أن نستغني عنها بالقرآن، وتأسياً بالرسول عليه الصلاة والسلام، وقياماً بفريضة طاعته التي نصّ عليها القرآن الكريم: {قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ} (آل عمران:32) ³.

ثمَّ إنّ كلام الدكتور بوهندي مع ما فيه من بيان لأهمية تفسير القرآن بالقرآن، وأنّه من طرق حلّ مشاكل المسلمين، إلا أنّ إيراد هذا النوع من التفسير وحده دون أنواع التفسير الأخرى في هذا السياق غير صحيح، فهي كلّها تشترك في تلك الغاية، وذكر الدكتور مصطفى للرواسب التاريخية يجعل من المهمّ التنبيه إلى أنّ التفسير النبوي كذلك داخل في أسباب حلّ مشاكل المسلمين" ⁴.

¹ سعاد كوريم، مقال: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، نشر في مركز تفسير للدراسات القرآنية. الرياض، سنة: 14/01/2008 .

² مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن. (ص: 24) .

³ عماد حسن أبو العينين، مقال حول الاستغناء بالقرآن عن السنّة وعلاقة السنّة بالقرآن. موقع alhesn. Net

⁴ محمود بن علي البعداني، موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية. الرياض. ط: 1، سنة: 1436هـ- 2015م، (ج 2/ص 871).

3.2. الشبهة الثالثة: التأخر التاريخي لتفسير القرآن بالقرآن:

هناك عدد موانع منعت من تفسير القرآن بالقرآن في عصور التدوين، منها ما هو راجع إلى القرآن نفسه، ومنها ما هو راجع إلى أثر السنة والآثار في منع تفسير القرآن بالقرآن، حيث قال: "إنّ" تفسير القرآن حالت دونه دعاوى أنشأتها ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية ومذهبية مختلفة، ومن ذلك:

أ- ادعاء أنّ القرآن حمّال أوجه .

ب- وله ظاهر وباطن .

ج- وهو أقسام، منه مالا يعلمه إلا الله، ومنه مالا يعلمه إلا رسوله، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب، ومنه ما لا يعذر أحدٌ بجهله .

د- ولا يجوز المجادلة بالقرآن، والذين يجادلون به هم أهل الزيغ، وإنّما المجادلة تكون بالسنن والآثار، وأصبحت بذلك السنن والآثار هي المحددة للمعاني القرآنية، فانحسر تفسير القرآن بالقرآن، واهتمّ الناس بدله بالمأثورات¹.

وأما ما يرجع إلى أثر السنة والآثار في منع تفسير القرآن بالقرآن فقد ذكر تقديم طرق التفسير الأخرى على هذا الطريق، بل وعدم اعتماد تفسير القرآن بالقرآن .

الردّ على الشبهة:

- أمّا قوله "أنّ القرآن حمّال أوجه": فقد قال الإمام الزركشي أنّها تحتل معنيين:

"أحدهما: أنّ من ألفاظه ما يحتل وجوها من التأويل.

الثاني: أنّه قد جمع وجوها من الأوامر والنواهي، والترغيب والترهيب، والتحليل والتحريم"².

ومن خلال هذه المعاني نجد أنّه لا تنافي بينها وبين تفسير القرآن بالقرآن، وأنّ كلام الدكتور بوهندي بعيد عن الدقة والصواب .

- وأمّا قوله "أنّ القرآن له ظاهر وباطن":

وهذا الأمر الذي اعتبره الدكتور بوهندي مانعا من موانع تفسير القرآن بالقرآن هو من قول الباطنية، ولا يقول به عالم معتبر³، قال الزرقاني -رحمه الله-: "الباطنية قوم رفضوا الأخذ بظاهر القرآن وقالوا للقرآن ظاهر وباطن والمراد منه باطنه دون ظاهره"⁴.

- وأمّا قوله بأنّ من موانع تفسير القرآن بالقرآن أن التفسير أقسام: منه مالا يعلمه إلا الله، ومنه مالا يعلمه إلا رسوله، ومنه ما تعلمه العرب، ومنه مالا يعذر أحد بجهالته .

فالدكتور بوهندي أورد زيادة خاطئة لم ترد في روايات هذا الأثر وهي: "ومن مالا يعلمه إلا رسوله" وهذا الأثر ذكره الطبراني في مسند الشاميين بدون هذه الزيادة الخاطئة .

ثمّ إنّّه لم يبيّن وجه العلاقة بين أقسام التفسير وتفسير القرآن بالقرآن وكيف يمكن أن يكون الأوّل مانعا من حصول الثاني، ولم يثبت عن أحد من المفسرين المتقدمين أو المعاصرين أن اعتبره مانعا.

¹ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن. (ص25) .

² الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2/ 163) .

³ محمود بن علي البغدادي، موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير. (2/ 874) .

⁴ محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: 2، (ج2/ص384) .

- وأما قوله: أن من موانع تفسير القرآن بالقرآن عند المفسرين قولهم إنه لا يجوز المجادلة بالقرآن والذين يجادلون به هم من أهل الزيغ، وإنما المجادلة تكون بالسنة والآثار .

فنسبة هذا القول إلى أهل العلم غير صحيحة، ولا أحد من المفسرين يقول بعدم جواز مجادلة أهل الباطل ودحض شبههم بالقرآن الكريم، وقد ألف العلماء كتباً في جدل القرآن¹.

وإنما وردت الآثار المتعلقة بمناظرة أهل البدع كالخوارج خاصة، وأنهم يتمسكون بمتشابه القرآن، فكانت مناظرتهم بالسنة كذلك لأنها تبين المحكم من المتشابه، لا أنه لا يجوز مجادلة أهل الباطل مطلقاً².

- وأما ما يرجع إلى أثر السنة والآثار في منع تفسير القرآن بالقرآن فقد قال: "نعم، إن أحسن طرق التفسير أن يفسر القرآن بالقرآن أولاً، لكن للأسف الشديد، جلّ كتب التفسير لا تعتمد هذه القاعدة، بل على العكس من ذلك، فإن الترتيب الذي يعتمدونه كثير منهم إنما هو تفسير القرآن بالسنة ثم بكلام الصحابة وغيرها من الأصول الأخرى³ .

إن تفسير القرآن بالقرآن إنما أن يكون وارداً إلينا بالمأثور أي بتبيان النبي عليه الصلاة والسلام وهذا يدخل ضمناً تحت تفسير القرآن بالسنة، وهو أعلى درجة، وإنما أن يكون بالاجتهاد من الصحابة أو التابعين أو من بعدهم من المفسرين.

3. شبهات الحداثين المتعلقة بالأصل الثاني وهو "تفسير القرآن بالسنة النبوية":

و يقصد بتفسير القرآن بالسنة بيان الرسول -صلى الله عليه وسلم- لمعاني القرآن الكريم، وهذا النوع من أجل طرق التفسير بعد تفسير القرآن بالقرآن، لأن السنة وحي من الله تعالى على نبيه -عليه الصلاة والسلام- فهي مبيّنة للقرآن وشارحة له . وقد ألفت عدة شبه من الحداثين حول هذا الأصل أهمها:

2. 1 شبهات الدكتور محمد بوهندي حول تفسير القرآن بالسنة:

إن المتتبع لكلام مصطفى بوهندي يجد أن عنده عدة إشكالات بمثابة شبه حول هذا موضوع، وهي:

الشبهة الأولى: ادّعاؤه أن السنة النبوية ليست شارحة للقرآن، حيث يقول: "هل السنة شارحة للقرآن وموضحة له: "أما أن السنة شارحة للقرآن وموضحة له فهو كلام غير دقيق، لأن القرآن نزل بلسان عربي مبين، وهو بيان للناس وتبيان لكل شيء، وإذا كان ثمة شرح وتوضيح فإنما يكون بسبب نقص البيان في المشروح والموضح، فليس شيء يمكن أن يكون أوضح من القرآن وأبين منه"⁴.

والرد على هذه الشبهة:

أن القول بأن السنة ليست شارحة للقرآن جهل ظاهر، إذ العبادات كلّها كالصلاة والزكاة والصوم إنما شرحت السنة وبيّنت كيفيتها، وقد أورد العلماء عدداً من أوجه بيان السنة للكتاب، ومنها:

- بيان الجمل في القرآن وتوضيح المشكل، وتخصيص العام، وتقييد المطلق.

- بيان معنى لفظ أو متعلقه.

- بيان أحكام زائدة على ما جاء في القرآن الكريم كتحریم نكاح المرأة على عمّتها وخالتها، وصدقة الفطر.

- بيان التسخ: كأن يبيّن النبي عليه الصلاة والسلام أن آية كذا تُسخت بكذا.¹

¹ منها جدل القرآن للطوفي. وغيره كثير .

² محمود بن علي البغدادي موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 876) .

³ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (ص: 24) .

⁴ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (ص: 104).

الشبهة الثانية: وجود موانع تحول بين تفسير القرآن بالسنة: حيث يقول الدكتور مصطفى بوهندي: "إنّ ما يعترضنا في تفسير القرآن بالسنة أمور كثيرة منها:

- أنّ أخبار السنن متفاوت في درجات الصحة والضعف، ومنها ما هو موضوع منكر، ومنها ما هو من الإسرائيليات والخرافات وغيرها ممّا لا يمكن الاعتماد عليه بحال².

والردّ على هذه الشبهة :

أنّ وجود الضعيف من الأحاديث في السنة النبوية رواية، لا يعني أن نترك تفسير القرآن بالسنة النبوية، بل نميّز بين الضعيف منها فنردّه، ونعرف الصحيح فنأخذ به في التفسير .

وهذا الأمر قد تنبّه له أهل العلم قديماً، قال الزركشي -رحمه الله-: " لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمّهاها أربعة:

الأول: النّقل عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وهذا هو الطّراز الأوّل لكن يجب الحذر من الضعيف فيه، والموضوع فإنّه كثير"³. مع التنبيه إلى أن بعض الضعيف من الآثار قد يكون موافقاً للمفهوم ومؤكّداً للمعنى الذي دلّت عليه ألفاظ الآية فيمكن ذكره مع التنبيه على ضعفه، قال الطّوّبي: "فإن كان ما ورد في التفسير من الأحاديث الضعيفة والتواريخ موافقاً للمفهوم من ظاهر الكلام أو فحواه أو معقوله جُمِلَ الكلام على ما فهم منه، وكان الخبر الضعيف ونحوه مؤكّداً لما استفيد من اللفظ"⁴.

الشبهة الثالثة: قلة الروايات المتعلقة بالتفسير في صحيح البخاري مع ضعف درجتها في بعض الأحيان، و ذلك في قول الدكتور بوهندي: "ما أورده الإمام البخاري في التفسير لا يتجاوز ثلاثمائة وأربعين باباً موزعة على بضعة وسبعين سورة، بينما لم يورد في أربعين سورة ولا باباً واحداً، وهذه الروايات التي أوردها منها المرفوع والموقوف والمرسل والمقطوع والمنقطع وغير المسند، وكما رأينا في سورة آل عمران فمن بين عشرين حديثاً لم يرفع منها إلا عشرة أحاديث، وأكثرها لا علاقة له بالتفسير إلا علاقة تشابه ظاهري يوهّم الذي لم يرجع إلى سياق الآية ويقارنها بمضمون الحديث بالتمائل بينها، والحقيقة عكس ذلك"⁵.

و الردّ على الشبهة: أنّ قلة الأحاديث الصحيحة ليست مانعاً من تفسير القرآن بالسنة، فإن لم نجد التفسير في السنة ننقل للمصادر الأخرى، قال ابن تيمية -رحمه الله-: "فإن لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة، فإنهم أدركوا ذلك لما شاهدوه من أسباب نزول القرآن والأحوال التي اختصّوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم"⁶. - وأما قوله بأنّ البخاري لم يورد في صحيحه إلا ثلاثمائة وأربعين باباً في التفسير، وأنّ التفسير النبوي فيه قليل، فإنّه لا يشترط أن يردّ في كلّ آية تفسير من السنة بل يتمّ الانتقال إلى المصادر الأخرى، ولا ينبغي الاعتماد على صحيح البخاري فقط في التفسير النبوي، بل هناك أحاديث كثيرة صحيحة في صحيح مسلم وفي السنن والمسانيد وكتب التفسير المسندة، بل وهناك كتب خاصة بالتفسير النبوي .

3.2 شبهات الأستاذ جمال البنا حول تفسير القرآن بالسنة:

ومن الشبهات التي أثّرت حول تفسير القرآن بالسنة، ما أثاره الأستاذ جمال البنا، في بعض كتاباته، ومنها:

¹ ينظر: حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، (ص:9)، ومحمود بن علي البغدادي، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/886)

² مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (ص:104) .

³ ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، (2/156)، و محمود بن علي البغدادي موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/889) .

⁴ الطوّبي، الإكسبر في قواعد علم التفسير.. (ص:41) . وينظر تفصيلاً وافياً لهذه المسألة في مقال: منهج المحدثين في نقد مرويات التفسير. لمحمد صالح محمد سليمان. Byn. Journals.ekb. eg.

⁵ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (2/105) .

⁶ ابن تيمية، مقدمة في أصول التفسير، (ص:58) .

الشبهة الأولى: أنّ الضوابط التي وضعها الأئمة لضمان وصول السنة الصحيحة والثابتة وأفنى فيها أعماراً بعد أعمار، وأبدعوا فنوناً من الضمانات والأساليب، لم تكن بعد هذا كله من الإحكام بحيث تسد المنافذ المتعددة التي حدثت، لتأخر تدوين السنة لمدة قرن بعد وفاة النبي -عليه الصلاة والسلام- بحيث اتسع الخرق على الراقق¹.

والرد على الشبهة:

أن هذه تحمة للجهود المبذولة في خدمة السنة النبوية تدل على جهل بحقيقة تلك الجهود²، بل إنه وبعد البحث فيما كتبه جمال البنا للتعرف على ضوابط السنة في رأيه، لمحاولة فهم وجه نقده للضوابط التي وضعها المتقدمون فإنك تلاحظ أنه لا يرى أن هناك شيئاً اسمه سنة أصلاً، بل السنة عنده هي السيرة العامة للنبي -صلى الله عليه وسلم-، وأمّا ما نقل عنه من أقوال فلا يعتبرها من السنة³.

الشبهة الثانية: ندرة التفسير النبوي تدليل على أن النبي ﷺ لم يكن يُحكّم رأيه في القرآن، وفي ذلك يقول جمال البنا: "إنّ هذه الوقائع الثابتة وأعني ندرة ما فسره الرسول، وأنّه في الحالات النادرة كان يرجع إلى القرآن نفسه، أو إلى وحي قرآني... في منتهى الأهمية لأنّها تكاد تستبعد كلّ ما تسرده كتب التفسير سرداً كأنّه قضية مسلمة وتخالف ما ذهب إليه المفسرون من أنّ طريقة التفسير هي أن تعود إلى القرآن فإن لم تجد فتعود إلى السنة، فإن لم تجد فتعود إلى الصحابة، وقد يلحقون بالصحابة التابعين"⁴.

والرد على الشبهة:

أن زعم جمال البنا بأن ما ترويه كتب التفسير من تفسيرات نبوية ينبغي أن تُستبعد لأنّ النبي -عليه الصلاة والسلام- لم يفسّر القرآن إلّا نادراً، يردّ عليه بأن ما ورد عن النبي من تفسير للقرآن داخل في جملة سنته التي أمرنا بالأخذ بها بقوله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر: 7). فكيف يُقال باستبعاده؟

ومن جهة أخرى: فإنّ القول بأنّ ﷺ النبي لم يُفسّر القرآن إلّا نادراً هو قول فيه نظر⁵، فمن المعلوم أنّه عليه الصلاة والسلام المبين للوحي، للوحي، كما قال تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} (التحل: 44)، ومن تمام البيان تعليم الصحابة رضي الله عنهم ما يحتاجونه من تفسير، على أنّ الصحابة -رضي الله عنهم- لم يكونوا بحاجة لتلقي تفسير الآيات كلّها بمقتضى عربيتهم ومشاهدتهم لأحوال التنزيل⁶.

الشبهة الثالثة: اعتماد العلماء على الأحاديث والآثار التي يصفها بالركيكة والموضوعة، وقد سبق أنّه يعتبر أحاديث الصحّاحين موضوعة لأنّها تخالف القرآن في رأيه، وفي ذلك يقول مخاطباً العلماء "ألا اتقيتم الله وجعلتم لكم في رسول الله أسوة حسنة، وقد رأيتم كيف كا، يُعرف للقرآن قدره لا يُحكّم فيه برأيه".

والرد على هذه الشبهة أن هذا من الجهل الظاهر، لأنّ البنا يعتبر النبي عليه الصلاة والسلام لم يفسّر آيات القرآن كلّها حتّى لا يحكم في القرآن برأيه -حاشاه عليه الصلاة والسلام-، وهذا قول من يجهل قوله سبحانه: {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى} (النجم: 43)، قال الإمام ابن كثير: "هو صلوات الله وسلامه عليه وما بعثه الله به من الشرع العظيم في غاية الاستقامة والاعتدال

¹ جمال البنا، العودة إلى القرآن، (ص: 40-41).

² وليبيان بعض جهود العلماء المتقدمين في حفظ السنة، انظر: تدوين الحديث. (ص: 167)، و محمود بن علي البعداني، موقف المدرسة العقلية المعاصرة من السنة النبوية، (2/ 7).

³ ينظر: جمال البنا، نحو فقه جديد السنة ودورها في الفقه الجديد، (ص: 268).

⁴ ينظر: الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل، تفسير القرآن الكريم بين القدامى والحديثين، (ص: 99).

⁵ محمود بن علي البعداني، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 895).

⁶ ينظر: علي بن سليمان العبيد، تفسير القرآن الكريم. أصوله وضوابطه، مكتبة التوبة- الرياض. ط: 2/ 1430 هـ - 2010 م. (ص: 55-59).

والسداد، ولهذا قال: " وما ينطق عن الهوى " أي ما يقول قولاً عن هوى وغرض "إن هو إلا وحي يوحى" أيكما يقول ما أمر به، يبلغه إلى الناس كاملاً موفراً من غير زيادة ولا نقصان" ¹.

3.3 شبهات الدكتور محمد شحرور حول تفسير القرآن بالسنة:

الشبهة الأولى: السنة النبوية هي اجتهاد النبي عليه الصلاة والسلام في تطبيق القرآن الكريم، وفي ذلك يقول: "وهكذا نفهم أنّ السنة النبوية هي اجتهاد النبي في تطبيق أحكام الكتاب من حدود وعبادات وأخلاق آخذاً بعين الاعتبار العالم الموضوعي الذي يعيش فيه، متحرّكاً بين الحدود، وواقفاً عليها أحياناً، ووضع حدود مرحلية للأمور التي لم ترد في الكتاب، وفي هذا كان للرسول الأسوة الحسنة لنا إلى يوم الدين" ².

والرد على هذه الشبهة: هو أنّ القول بأنّ السنة النبوية هي اجتهاد الرسول عليه الصلاة والسلام هدفه هو إضفاء صفة الأنسنة على السنة النبوية، وإخلاؤها من صفة الوحي، ومن ثمّ إضفاء طابع التاريخانية عليها، ولا يبقى لها أثر في الحياة العامة للمسلم ³. فادّعاء شحرور بأنّ السنة النبوية اجتهاد في تطبيق الأحكام ملتزم بزمانه هو قول باطل، بل السنة النبوية من جملة الوحي المأمور بطاعته في مواضع كثيرة من القرآن الكريم ⁴.

والنبي - صلى الله عليه وسلم - لا ينطق عن الهوى، وبإجماع الأمة المسلمة والأدلة على أن السنة وحي من الله تعالى على نبيه - صلى الله عليه وسلم - كثيرة منها:

أولاً: إخبار الله تعالى بذلك في نصوص قاطعة في آيات بينات من القرآن المجيد من ذلك قوله - عز وجل - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - {وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ} (النجم:3-4)، ومن ذلك قوله - عز وجل - عن نبيه - صلى الله عليه وسلم - {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلَ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} (الحاقة:44-47). فهذه الآيات ليس فيها إخبار بأن الرسول لا ينطق إلا بالوحي فقط، بل فيها إخبار بأنه - صلى الله عليه وسلم - لو افترى على الله - تعالى - شيئاً لم يوحه الله إليه لقتله الله وقضى عليه.

ثانياً: النصوص القاطعة من كتاب الله المجيد التي يأمر الله - عز وجل - فيها المؤمنين باتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - في كل ما يأخذ وما يدع، وما يأمر وما ينهى، من ذلك قول الله - تبارك وتعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا} (الحشر:7). وقول الله - سبحانه - {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ} (محمد:33). **ثالثاً:** ترتيب الله - تعالى - الإيمان على طاعة رسوله - صلى الله عليه وسلم - والرضا بحكمه، والتسليم لأمره ونهيه قال تعالى -: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً} (النساء:65).

ومن ذلك وصف الله - تعالى - المؤمنين بأن شأهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يقولوا سمعنا وأطعنا، وذلك في قوله - سبحانه -: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (النور:51).

¹ ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ط2/ 1420هـ - 1999م. تحقيق: سامي بن محمد السلامة. (ج7. ص: 443).

² محمد شحرور، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق. (ص: 553).

³ أكرم بلعمري، القراءة المعاصرة للسنة النبوية. محمد شحرور أنموذجاً. د. مجلة الشهاب - معهد العلوم الإسلامية. جامعة الوادي. عدد2، سنة: 1437هـ - 2016م، (ص: 101).

⁴ محمود بن علي البعداني، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 897).

رابعاً: إجماع الأئمة كلها على أن السنة وحي من قبل الله - عز وجل - إلى رسوله - صلى الله عليه وسلم - وبخاصة صحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم ورَضِي الله عنهم أجمعين¹.

الشبهة الثانية: ادّعاؤه أنّ الأحاديث النبوية يجب أن تتطابق مع القرآن والعقل، ولذلك فإن شحروا يقسمها إلى قسمين: أحاديث تتعلّق بالغيبيات، وأحاديث تتعلّق بشرح تفصيل الكتاب.

وفي ذلك يقول محمد شحور: "أحاديث النبوة تنقسم إلى نوعين:

- أحاديث تتعلّق بالغيبيات أي بشرح القرآن، وتتعلّق بالفهم العام للقرآن وليس التأويل، إذ أنّ النّبّي -عليه الصلاة والسلام- كان ممتنعاً عن التأويل، هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع المفهوم العام للقرآن، حيث إنّ المفهوم العام للقرآن يتطابق مع الحقيقة والعقل، وإذا لم تتطابق فتُهمَل.

- أحاديث تتعلّق بشرح تفصيل الكتاب كقوله: "أوتيت القرآن ومثله معه"².

فمحمد شحور هنا يشرح أنّ السبع المثاني هي كالقرآن وقوله: "في ليلة القدر أنزل القرآن إلى السماء الدنيا، هذه الأحاديث يجب أن تتطابق مع آيات تفصيل الكتاب، "لا محكمة ولا متشابهة"³.

والردّ على هذه الشبهة: أن ما أورده الدكتور محمد شحور عليه عدّة ملاحظات هي:

- الملاحظة الأولى: قول الدكتور محمد شحور في الأحاديث المتعلقة بالغيبيات أنّها يجب أن تتطابق مع المفهوم العام للقرآن يُشابه إلى حدّ كبير كلام جمال البنا في أنّ الأحاديث المتعلقة بالغيبيات من المردود حتّى توافق القرآن، مما يفيد أنّهما يأخذان من مأخذ واحد، وهذا القول مفض إلى ردّ أحاديث كثيرة مثل أحاديث الدجال وأجوج ومأجوج وكثير من أشرار السّاعة.

- الملاحظة الثانية: الأحاديث التي تشرح (تفصيل الكتاب)، أي الأحاديث التي تشرح ما ليس من الأوامر والتّواهي و ما ليس من قوانين الكون، وهذا النوع من الآيات يشترط فيها الدكتور محمد شحور أن يتطابق مع القرآن الكريم كذلك.

وبالتالي فإنّ الدكتور محمد شحور في حقيقة الأمر ينكر السنّة النبويّة، ولكنّه يُظهر إنكاره هذا بمظهر من يقبل ما يوافق القرآن ويتطابق معه، إذ معنى أن تتطابق السنّة مع القرآن لكي تُقبل أنّه لا حاجة للسنّة أصلاً⁴.

كما أنّ المقصود من هذه الدعاوى هو التأكيد على إعمال العقل في هذه المرويات، ويردّ عليه في ذلك ما قاله الإمام المعلّم في كتابه الأنوار الكاشفة: بأنّه من شدّة مراعاة المحدثين للعقل عند الحكم على متون الأحاديث أنّهم جعلوا من دلائل الوضع أن يخالف الحديث العقل ولا يقبل تأويلاً بحال، لأنّه لا يجوز أن يردّ الشرع بما يناهز العقل، فعلماء الحديث أشدّ احتياطاً في الكشف عن ذلك⁵.

ويقول الدكتور مصطفى السباعي مبيناً منهج المحدثين في هذه المسألة: "والأحاديث التي صحّحها علماء الحديث ليس فيها ما يرفضه العقل أو يُحيله لأنّها إمّا تتعلّق بأمور العقيدة، وهذه يجب أن تتفق مع القرآن، وليس في القرآن شيء يحكم العقل بفساده أو بطلانه أو استحالته، وإمّا أن تتعلّق بالأحكام الشرعية من عبادات ومعاملات وغيرها وليس في حديث منها ممّا صحّحه العلماء ما يرفضه العقل أو يحكم

¹ محمود محمد مزروع، شبهات القرآنيين حول السنّة النبوية، موقع روح الإسلام. Islamspirit.com

² أخرجه الإمام أحمد (410/28)، رقم 17174)، من حديث المقدم بن معدي كرب، وقال الأرئؤوط: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصّحيح.

³ محمد شحور، الكتاب والقرآن. (ص: 554).

⁴ محمود بن علي البعداني، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 900).

⁵ عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنّة" من الزلل والتضليل والمجازفة، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبها / عالم الكتب - بيروت، سنة النشر: 1406 هـ / 1986 م، (ص14-15).

باستحالته، وإما أن تكون أخبارا عن الأمم الماضية أو أخبارا عن عالم الغيب، كشؤون السماوات والجنة والنار، وهذه ليس فيها ما يحكم العقل بطلانه¹.

ثم قال: "وقصارى القول أنّ أئمة الحديث وفقهاء المسلمين لم يُلغوا عقولهم عند تصحيح الأحاديث، وإنما أوقفوها عند الحدّ الذي يجب أن تقف عنده بحكم الشرع، وبحكم العقلاء غير المغرورين بعقولهم"².

الشبهة الثالثة: ادّعاؤه أنّ النبيّ عليه الصّلاة والسلام لم يفسّر القرآن الكريم:

يتساءل الدكتور محمد شحرور ويوجب على السؤال بنفسه فيقول: هل فسّر النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- القرآن "الجواب: إنّ النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- لم يفسّر القرآن إطلاقاً، ولو فسّره لقضى على نبوّته وعالميّته وخاتمته بنفسه، وإذا فتحنا كتب التفسير وجدنا فيها كلّ شيء ما عدا التفسير³.

والردّ على الشبهة:

أن هذا الجواب من الدكتور محمد شحرور القصد منه هو إنكار السنّة، وإن لم ينصّ على إنكارها صراحة، لأن هذا صار معلوما من كتاباته.

وأما قوله إنّ النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- لو فسّر القرآن لقضى على نبوّته وعالميّته وخاتمته بنفسه" فهذا باطل ولا دليل عليه من شرع أو عقل، بل إنّ أدلّة الشرع ظاهرة في تفسيره لآيات من القرآن الكريم، بل إنّ تمام التبليغ أن يبيّن النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- ما يحتاج إلى تبين من معاني الوحي كما بيّن ألفاظه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يجب أن يُعلم أنّ النبيّ -عليه الصّلاة والسلام- بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه فقوله تعالى: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} (النحل:44) يتناول هذا وهذا.

- وأما قوله: "وإذا فتحنا كتب التفسير وجدنا فيها كلّ شيء عدا التفسير".

فهذا القول يطله الواقع، وهذه كتب التفسير من كتب المتقدّمين والمتأخّرين تردّد هذا القول، ووجود بعض الآثار الضعيفة أو الإسرائيلية لا يعني أنّ كتب التفسير كما ذكر الدكتور محمد شحرور⁴.

4. شبهات الحداثيين المتعلقة بالأصل الثالث وهو "تفسير القرآن بأقوال الصحابة":

ويقصد به اعتماد أقوال الصحابة في العملية التفسيرية وذلك لأنهم أهل اللسان الذي نزل به القرآن ولأنهم شهدوا التنزيل وعرفوا أحواله ولسلامة مقصدهم وحسن فهمهم.

وقد ألفت عدة شبه حول هذا الأصل من أبرزها:

4. 1 شبهات الدكتور مصطفى بوهندي حول تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

¹ مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة: 1402 هـ - 1982 م، (ص 35-36).

² مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، (ص:41)، وينظر أيضا: سليم نصري، المدرسة الحداثية وموقفها من السنّة النبوية، رسالة: ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة، سنة: 2011 م.

³ السنّة الرسولية والسنّة النبوية -رؤية جديدة-. دار الساقى للطباعة والنشر، 2012 م (ص:207-208).

⁴ محمود بن علي البعداني موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (901/2).

الشبهة الأولى: أراد من خلالها التقليل من قيمة تفسير الصحابة للتزهد فيه: حيث يقول: "ولن يدعي أحد أن ما روي في من تفسير الصحابة يأتي في المرتبة الثالثة إجباراً، إذ كثيراً ما تجاوز المفسرون كلام الصحابة لخطأ ظهر لهم في كلامهم، أو لرأي أصوب من رأيهم، أو لتوجيه أكثر ملاءمة للسياق القرآني من توجيههم أو غير ذلك" ¹.

والرد على هذه الشبهة: نقول هذا الكلام بأنه ليس من شروط مصداقية تفسير الصحابة أن يُقبل كل تفسير دون النظر إلى مجموع المصادر وترجيح أحدها على الآخر .

فاعتبار تفسير الصحابة أصلاً من أصول التفسير لا يلزم منه أن كل ما ورد من تفسيرهم يجب قبوله ²، وفي هذا المعنى يقول الزركشي: "يُنظر في تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة فهم أهل اللسان فلا شك في اعتمادهم، وإن فسره بما شاهدته من الأسباب والقرائن فلا شك فيه" ³.

ويقول الإمام الشاطبي -رحمه الله-: "وأما بيان الصحابة، فإن أجمعوا على ما بينوه فلا إشكال في صحته أيضاً، كما أجمعوا على الغسل من التقاء الختانين المبين لقوله {وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا} (المائدة: 6)، وإن لم يجمعوا عليه فهل يكون بياهم حجة أم لا؟ هذا فيه نظر وتفصيل، ولكنهم يترجح الاعتماد عليهم في البيان من وجهين:

أحدهما: "معرفتهم باللسان العربي، فإنهم عرب فصحاء، لم تتغير ألسنتهم ولم تنزل عن رتبتها العليا فصاحتهم، فهم أعرف في فهم الكتاب والسنة من غيرهم، فإذا جاء عنهم قول أو عمل واقع موقع البيان، صحّ اعتماده من هذه الجهة .

الثاني: مباشرتهم للوقائع والتأويل، وتنزيل الوحي بالكتاب والسنة، فهم أقعد في فهم القرائن الحالية، وأعرف بأسباب التنزيل ⁴.

الشبهة الثانية: ادّعاء أن مدح ابن عباس وابن مسعود بالتفسير لا يعطي لتفسيرهما درجة عالية، وأن تفسيرهما غير موجود أصلاً، وفي ذلك يقول: "إن كون ابن مسعود عالماً بما نزل من القرآن، وابن عباس ترجمان القرآن، لا يعطي ولم يُعط لتفسيرهما -في أي وقت من الأوقات- المرتبة العالية التي تبوأها، لأن تفسيرهما المزعوم غير موجود (والموجود منه قليل جداً)، ولأن ما يوجد من تفسير منسوب إليهما أكثره محمول عليهما، هذا عن الكثيرين، فكيف الأمر بالنسبة لبقية الصحابة المقلّين إذن" ⁵.

والرد على هذه الشبهة:

أن هذا الكلام غير صحيح لأن منزلة تفسير الصحابي تزيد كلما كان أعلم بالتفسير من غيره، ولهذا جعل الزركشي تفسير ابن عباس مقدّم على غيره من تفاسير الصحابة لعلّ منزلة في التفسير .

ثم إن كتب التفسير قد جمعت عدداً غير قليل من الروايات عن ابن عباس وابن مسعود، ولو افترضنا قلّة مروياتهما في التفسير فهذا لا يعني بطلان ما صحّ منها كما هو أو عدم أهميته وارتفاع رتبته .

ولو صحّ أن أكثر تفسيرهما المروي موضوعاً أو ضعيفاً، فهذا لا يعني بطلان الصحيح منه، بل ما صحّ منه يؤخذ به، وهو في مرتبة عالية من حيث أنه تفسير صحابي ⁶.

¹ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (ص: 117-118) .

² محمود بن علي البغدادي، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 907) .

³ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، . تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - بيروت. ط: 1، سنة: 1376هـ- 1957م. (2/ 172) .

⁴ إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط: 1، عام: 1417هـ، (4/ 128) .

⁵ مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن، (ص: 118) .

⁶ ينظر: محمود بن علي البغدادي، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 910) .

4 . 2 شبهات الأستاذ جمال البنا حول تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

الشبهة الأولى: ردّه لتفسير الصحابة: حيث قال: فإذا كان التفسير بالمأثور منسوباً إلى الرسول -وقد أوردنا تحفظاتنا عليه- فإنّ ما يورد عن الصحابة أجدر بالتحقق، أمّا عن التابعين فيُفترض أن لا ينظر فيه أحد إلّا إذا كان تفسيراً بالرأي، لأنّ الشكّة قد بعدت ما بين الرسول والتابعين بحيث يكون من الصعب على ما يرويه هؤلاء أن يقال عنه: تفسير بالمأثور .

والردّ على هذه الشبهة: أن يقال إنّ تحقّق جمال البنا عن قبول كلّ ما هو من التفسير المأثور سواء التفسير النبوي أو تفسير الصحابة أو من بعدهم، له علاقة بنظرة العقلانيين المعاصرين للنقل، وعدم تلقّيهم له بالقبول إلّا إذا وافق عقولهم .

الشبهة الثانية: ادّعاؤه أنّ أهم سبب لرفض تفسير الصحابي أنّه لا يمكن تحكيم البشر في النصّ المعجز، حيث قال: "وقد دافع الفقهاء والمفسّرون عن تفسير الصحابة، وأنّه يؤخذ به عندما لا يوجد في القرآن والسنة، وادّعوا لهذا دعاوي لا تثبت أمام النقد السليم لأنّه لا يمكن تحكيم آحاد من البشر -مهما كانوا- في النصّ المعجز، فهذا خطأ أصولي ولا يمكن الاعتذار عنه، وإذا كان أبو بكر يقول: "أيّ سماء تظلّني وأيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم" ¹ .

والردّ على هذه الشبهة أن يقال:

-أمّا ادّعاؤه بأنّ أحد أهم الأسباب لردّ تفسير الصحابة أنّه لا يمكن تحكيم البشر في النصّ المعجز، أن هذا ليس تحكيماً وإنّما هو ردّ للعلم إلى أهله لفهم القرآن ومعرفة معانيه .

-وأمّا استدلاله بقول أبي بكر رضي الله عنه: "أيّ سماء تُظلّني وأيّ أرض تقلّني إن قلت في كتاب الله ما لا أعلم" على عدم جواز الأخذ بتفسير الصحابة، فهذا استدلال في غير محله لأنّ كلام أبي بكر الصديق في القول في كتاب الله بغير علم ² .

وقد قال الإمام الطبري معلّقاً على هذا الأثر وآثار أخرى: "وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحّة ما قلنا، من أنّ ما كان من تأويل أي القرآن الذي لا يدرك علمه إلّا بنصّ رسول الله -عليه الصلاة والسلام-، أو بنصّ الدلالة عليه، فغير جائز لأحدٍ القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه، وإن أصاب الحقّ فيه فمخطيء فيما كان من فعله بقليله فيه برأيه، لأنّ إصابته ليست إصابة موقن أنّه محقّ، وإنّما هو إصابة خاوص وظانّ، والقائل في دين الله بالظنّ قائل على الله ما لا يعلم" ³ .

الشبهة الثالثة: تشكيكه في عدالة الصحابة:

حيث قال: " فكيف يجوز أن نأخذ بأقوال آحاد الصحابة خاصّة إذا أخذنا بقاعدة المحدثين أنّ الصحابة جميعاً عدول بتعديل الله لهم، فأول ما يثير الاعتراض صحّة نسبة ما يُنسب إلى الصحابة عبر السند الطويل، ثمّ يأتي ما يُقال: إنّّه ليس للصحابة ولا لغيرهم من آحاد الناس أن يحكموا ويفسّروا، فهذا إذا أُبيح لأحدٍ للرسول وحده، وقد رأينا الرسول يترّث حتّى ينزل عليه وحي، أو يفسّر القرآن بالقرآن ثمّ ما صحّ عنه نذر قليل" ⁴ .

والردّ على هذه الشبهة: أن يقال بأنّ عدالة الصحابة متقرّرة في كتاب الله تعالى، وبإجماع أهل العلم، كما قال الخطيب البغدادي: "عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم، واختياره لهم في نصّ القرآن، فمن ذلك قوله تعالى {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ}

¹ تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، (ص: 100-101) .

² ينظر: محمود بن علي البغدادي، موقف المدرسة العقلية المعاصرة، (2/ 912-913) .

³ الطبري، جامع البيان، (1/ 72) .

⁴ تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين، جمال البنا. (ص: 100-101) .

لِلنَّاسِ { (آل عمران:110)، وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني: "اتفق أهل السُّنَّة على أنَّ الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة"¹.

5. خاتمة:

بعد عرض أهم شبهات الحداثيين من خلال النماذج الثلاثة التي اخترتها أخلص إلى نتائج وتوصيات أهمها:

- 1- أن شبههم لمست جميع أصول التفسير النقلية (القرآن، والسنة، وأقوال الصحابة).
 - 2- أهم الشبهات التي كان يدور حولها الحداثيون في أصل تفسير القرآن بالقرآن، هي:
 - اتِّهام المفسرين بعدم العناية بتفسير القرآن بالقرآن.
 - اعتبار تفسير القرآن بالقرآن معينا على التَّخَلُّص من السُّنَّة النبوية وهي شبهة القرآنيين.
 - ادِّعاء بعض موانع تفسير القرآن بالقرآن ومنها: - أنَّ القرآن حَمَال أوجه، وأنَّ له ظاهرا وباطنا، وأنَّه أقسام كما في الأثر عن ابن عباس.
 - 3- وأمَّا عن شبهاتهم حول تفسير القرآن بالسُّنَّة فهي:
 - ادِّعائهم أنَّ السُّنَّة النَّبَوِيَّة ليست شارحة للقرآن الكريم.
 - بعض المرويات في التفسير ضعيفة أو منكورة أو من الإسرائيليات.
 - قلة المرويات التفسيرية في صحيح البخاري مع ضعف درجة أغلبها.
 - أنَّ الضوابط التي وضعها الأئمة للمرويات الحديثية غير محكمة.
 - ادِّعاء أنَّ السُّنَّة النبوية اجتهد النَّبي -عليه الصلاة والسلام- في تطبيق الكتاب.
 - ادِّعاء أنَّ هناك أحاديث لا تتطابق مع القرآن والعقل.
 - ادِّعاء أنَّ النَّبي -عليه الصلاة والسلام- لم يفسِّر القرآن الكريم.
 - 4- وأمَّا شبهاتهم حول تفسير الصَّحابة فهي كالآتي:
 - التقليل من قيمة تفسير الصَّحابي.
 - إنكار وجود تفسير لابن عباس وابن مسعود.
 - عدم قبول تفسير الصَّحابي لأنَّه لا يمكن تحكيم البشر في كلام الله.
 - 4- التَّشكيك في عدالة الصَّحابة.
- ومن خلال ما سبق عرضه يمكن أن نستنتج أنَّ مقصد الحداثيين هو هدم أصول التفسير، حيث لم يتركوا عنصرا من عناصره إلا ونقدوه، ليخرجوا في الأخير بإبطال التفسير النَّبَوِي، وإبطال تفسير الصَّحابة ومن بعدهم بشبه واهية لا تقوم على أدلة قوِّية ولا أساس لها من الصَّحة، وهيئات أن يفلحوا، فهذه الأصول ثابتة ومجمع عليها منذ بدأ التفسير في عهد النَّبي -صلى الله عليه وسلّم-.
- وأما أهم التوصيات التي خرجت بها من هذا البحث فهي: الاعتناء برّد الشبهات التي يعرضها الحداثيون حول أصول التفسير، وتأليف موسوعة علمية تحت إشراف مجموعة من المتخصصين يعرضون فيها شبه هؤلاء ويردون عليها شبهة شبهة.

¹ ابن حجر العسقلاني، الإصابة، (1/ 23).

6. قائمة المراجع:

- 1- أحمد البريدي، تفسير القرآن بالقرآن، موقع تفسير. 1424هـ - 2003. tafsir. Net.
- 2- أحمد بن حنبل مسند الإمام أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط: 2، سنة: 1420 هـ / 1999 م.
- 3- أكرم بلعمري، القراءة المعاصرة للسنة النبوية - محمد شحرور أنموذجاً، مجلة الشهاب - معهد العلوم الإسلامية. جامعة الوادي. عدد: 2. 1437هـ - 2016م.
- 4- إبراهيم بن موسى الشاطبي، الموافقات، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، القاهرة، ط: 1، عام: 1417 هـ.
- 5- تفسير ابن كثير، ت: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط: 2، سنة: 1420 هـ / 1999 م.
- 6- تفسير القرآن الكريم بين القدامى والمحدثين. الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل -
- 7- تفسير القرآن الكريم. أصوله وضوابطه. علي العبيد، مكتبة التوبة - الرياض. ط: 2 / 1430 هـ - 2010م.
- 8- جمال البناء، العودة إلى القرآن، الاتحاد الإسلامي الدولي للعمل.
- 9- جمال البناء، نحو فقه جديد السنة ودورها في الفقه الجديد، دار الفكر الإسلامي - القاهرة.
- 10 - سعاد كوريم، مقال: تفسير القرآن بالقرآن: دراسة في المفهوم والمنهج، محمد بن جماعة. من موقع tafsir. Net. سنة: 14/01/2008.
- 11- سعيد بوعصاف، مقال: تفسير القرآن بالقرآن. مفهومه وضوابطه، نشر ضمن بحوث الملتقى العالمي حول بناء علم أصول التفسير - الواقع والآفاق - المغرب. شهر: أبريل سنة: 2015.
- 12- سليم نصري، المدرسة الحداثية وموقفها من السنة النبوية، رسالة: ماجستير بجامعة الأمير عبد القادر. قسنطينة، سنة: 2011م.
- 13- الزركشي. البرهان في علوم القرآن. تحقيق: محمد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربية. عيسى البابي الحلبي وشركاؤه - بيروت. ط: 1، سنة: 1376هـ - 1957م..
- 14- السنة الرسولية والسنة النبوية - رؤية جديدة - دار الساقى للطباعة والنشر. 2012م.
- 15 - الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ت: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، سنة: 1420 هـ / 2000 م.
- 16- الطوفي، الإكسیر فی قواعد علم التفسیر . تحقيق: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب - القاهرة.
- 17- عبد الرحمن بن يحيى المعلمي، الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة، الناشر: المطبعة السلفية ومكتبها / عالم الكتب - بيروت، سنة النشر: 1406 هـ / 1986 م.
- 18- عماد حسن أبو العينين، الاستغناء بالقرآن عن السنة وعلاقة السنة بالقرآن. رابط alhesn. Net
- 19 - محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، مكتبة وهبة، القاهرة.
- 20- محمد شحرور ، الكتاب والقرآن، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق.
- 21- محمد صالح ابن عثيمين شرح مقدمة في أصول التفسير ابن تيمية، دار البصيرة - مصر.
- 22- محمد صالح محمد سليمان، منهج المحدثين في نقد مرويات التفسير. رابط: Byn. Journals.ekb. eg.
- 23- محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء التراث العربي - بيروت. ط: 2.

- 24- محمد قجوي، أحمد بزوي الضاوي، مقال: عرض لرسالة تفسير القرآن بالقرآن، ضمن أرشيف منتدى الألوكة. سنة: 2008. almaktaba.org.
- 25- محمود بن علي البغدادي. موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير، مركز تفسير للدراسات القرآنية. الرياض. ط: 1، سنة: 1436هـ - 2015م.
- 26- محمود محمد مزروعة، شبهات القرآنيين حول السنّة النبوية، موقع روح الإسلام. Islamspirit.com.
- 27- مصطفى بوهندي، التأثير المسيحي في تفسير القرآن. دار الطليعة - بيروت. ط: 1، سنة: 2004م.
- 28- مصطفى السباعي، السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، المكتب الإسلامي: دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، سنة: 1402 هـ - 1982 م.